في سماعاته عن قول الخطيب الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبادي أنواره وتاهت الألباب
في عظمة تيهاء كنه ذاته فهذه الألفاظ ابتدعها من تمسك بقول أهل الكلام
المذموم فإنهم الذين تاهوا وتحيروا في الإيمان الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب
ولا فطريقة القرآن حمد الله لنفسه بأسمائه وصفاته وما يعرف به ويوجب الإيمان به و
معرفته وإثبات ربوبيته وصفات كماله فهذا هو توحيد المعرفة والإثبات الذي هو
توحيد المرسلين ودعوا به الأمم إلى توحيد الإرادة والقصد الذي هو توحيد الإلهية فإن
الرب الذي أبدع لخلقه ما يشاهدونه من عظيم مخلوقاته وتعرف إليهم بذلك وبما دلهم عليه
من كمال صفاته وتصرفه في مخلوقاته وهو الرب الذي لا يستحق العبادة غيره فالرسل وأتباع
الرسل كمل الله إيمانهم بذلك العلم والعمل وقد قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
وجعل الظلمات والنور فحمد نفسه بما يوجب الإيمان به ومعرفته من عظيم مخلوقاته
واستدل بأدلة ربوبيته على ما يستلزمه من الإلهية فقال ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فأنكر الشرك في حق من هذا وصفه وإنكار الشرك يقتضي توحيد العبادة بأن لا يراد غيره
ولا يقصد سواه فانتظم ذلك نوعي التوحيد وقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له عوجا قيما فحمد نفسه على إنزال الكتاب الذي هو أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض و
هو يقتضي الإيمان بالكتب والرسل وهو صراط الله المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء فهذا و
أمثاله هو طريقة القرآن يحمد نفسه على ما يتعرف به إلى خلقه ليعرفوه بآلائه الذي أبدعه و
أوجده وأنعم به كقوله الحمد لله فاطر السموات والأرض الآية وأمثال هذا في القرآن وبتدبره و
العلم به يحصل كمال الإيمان وتنتفي الحيرة ويحصل كمال الهداية ويعصم القلوب أن تتيه
في ربها وصفاته فكلما وصف به نفسه فلا حيرة فيه عند أهل الإيمان الذين عرفوه بما تعرف
به إليهم في كتابه واطمأنت قلوبهم بالإيمان به وجعلوه قصدهم ومرادهم وأما أهل الجدل من
أهل الكلام فهم الذين تحيروا وتاهوا كما أخبر بذلك نفر من متقدميهم كما هو معروف لديكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
بقلم الربيعي ١٣٤٤
١ ش

King Saud University
Copyright © King Saud University